

(عبارة عن) حشو شائع في اللغة العربية

أ.د. عباس بن علي السوسوة
عضو المجمع

(١)

سألت الصديق الزميل د. محمد بن علي العمري الكعبي عن مدينة أبها كيف كانت؟ فقال: كانت أبها عبارة عن أربع قرى ١.٠هـ. فانقذح في ذهني سؤال متشعب عن هذا التركيب الجريّ المقلوب عنوان هذا المقال /البحيث، أله معنى؟ وإذا كان ففي أي حالة أو سياق؟ وهل جاء على هذا التركيب حين من الدهر كان له معنى؟ ومتى؟ ومن أول من استعمله تقريبا؟

(٢)

يقينا لم تكن المرة الأولى التي أسمع فيها هذا التعبير، بل إني سمعته في مرحلة الابتدائية (١٩٦٤ - ١٩٧٠)، على الأقل في الصف الرابع في حصة الجغرافيا، وأغلب التعريفات المدرسية والجامعية تعتمد على مثل:
- الجزيرة عبارة عن أرض يحيط بها الماء من جميع الجهات... الخ. ثم من لا يحفظ تعريفات علم التجويد التي تبدأ بـ(عبارة عن)؟ ومنها:
التفخيم عبارة عن غلظ يدخل على جسم الحرف فيمتلىء الفم بصداه.

(٣)

هذا التركيب شائع في كل مستويات العربية المعاصرة منطوقة ومكتوبة؛ أعني: الفصحى المعاصرة، وعامية المثقفين، وعامية المتورين، وعامية الأميين^(١). وكل فروق استعماله إمّا في تسكين كلمة (عبارة) أو وضع علامة الإعراب المناسبة بعدها.

هذا التركيب حشو في الكلام، وهو من الأدلة على أن اللغة- أي لغة- ليست منطقية عقلية، وأنها حين تُكتسب لا تكتسب بوعي كامل، بل بطريقة لا واعية غالباً مادام مستعملوها ليسوا علماء منطقيين يبحثون في قضايا فلسفية ومنطقية، وبالتأكيد فهم ليسوا حواسيب تتأثر ببرمجة محكمة لا يستطيعون التصرف في المدخلات بحرف زائد أو عبارة وإلا فسدت.

على كل حال، حسب علمي المتواضع، لم أجد هذا التركيب في الشعر الجاهلي ولا في القرآن الكريم ولا في الحديث النبوي الشريف، ولا في كلام الصحابة والتابعين وتابعيهم، كذلك لم أجد في كتابات القرون الأربعة اللاحقة للهجرة، لا نثراً ولا شعراً. وأول ما وجدته في كتابات القرن الخامس الهجري عند البيروني (ت ٤٤٠ هـ) في صفحتي ٢٤ و١٠٢ دون أن يكون له معنى^(٢).

(١) انظر في ذلك: السعيد محمد بدوي: مستويات العربية المعاصرة في مصر، القاهرة: دار المعارف ١٩٧٣، وعباس علي السوسوة: دراسات في المحكية اليمنية، ط ٢ صنعاء ٢٠٠٧م، صص ٤-٣٤.

(٢) انظر البيروني، أبو الريحان محمد بن أحمد: كتاب تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مردولة، القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصورة عن طبعة حيدر آباد الدكن ١٩٥٨م.



ثم وجدت التركيب عند الراغب الأصفهاني المختلف حول تاريخ وفاته - كان إذا تحدث عن وحدة معجمية من كلمة مفردة يستعمل (يعبر به عن)، مثل:

- ((اليوم يعبر به عن وقت طلوع الشمس إلى غروبها، وقد يعبر به عن مدة من الزمان))^(١) وهو تعبير مقبول في هذا السياق. أما عند ذكره الكنايات والتعابير الاصطلاحية فنراه يستعمل تركيب عبارة عن، وهنا لا يكون حشوا. فمن ذلك:

- ((وقولهم هم أكلة رأس عبارة عن ناس من قلتهم يشبعهم رأس))^(٢). ومنه: ((يده مطلقة عبارة عن إيتاء النعم، ويد مغلولة عبارة عن إمساكها))^(٣).

ثم يأتي الحشو عند ذكر معنى المفردة، فخروجه لا ينقص من المعنى شيئاً، بل لعله يكون أفضل. ومنه:

- في ص ٢٩: الأبد عبارة عن مدة من الزمان التي ليس لها حد محدود.

- ص ٤١: أيان عبارة عن وقت الشيء، ويقارب معنى متى.

- ص ٦٤: الباصرة عبارة عن الجارحة الناظرة.

والحشو كثير عنده اكتفينا بما سبق.

(١) الراغب الأصفهاني الحسين بن محمد: المفردات في غريب القرآن، أعده للنشر محمد أحمد خلف الله. القاهرة: الأنجلو المصرية. ١٩٧٠ م، ص ٨٥٠.

(٢) المفردات ٢٣.

(٣) المفردات ٨٤٦ وانظر صفحات ١٧ و ٦٥ و ٨٤٧.

بعدها انتقلت إلى حجة الإسلام الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) واكتفيت بكتاب واحد من مؤلفاته في أصول الفقه، هو ((المستصفى في علم الأصول))^(١).

- ص ٨: الفقه عبارة عن العلم والفهم في أصل الوضع... صار يعرف العلماء عبارة عن العلم بالأحكام الشرعية الثابتة لأفعال المكلفين خاصة.
- ص ٩: فافهم أن أصول الفقه عبارة عن أدلة هذه الأحكام وعن معرفة وجوه دلالتها على الأحكام، من حيث الجملة، لا من حيث التفصيل.
- ص ٧٠: العاقل... ويطلق على من له وقار وهيبة وسكينة في جلوسه وكلامه، وهو عبارة عن الهدوء، فيقال: فلان عاقل، أي فيه هدوء.
- ص ٣٢٩: العزم عبارة عن القصد المؤكد... والعزيمة في لسان حملة الشرع عبارة عما لزم العباد بإيجاب الله تعالى... والرخصة في اللسان عبارة عن اليسر والسهولة.
- ولعل له دلالة عند الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) في مؤلفاته التي يهتم فيها بالتعبير الاصطلاحي، فالتعبير الاصطلاحي وحدة معجمية أكبر من الكلمة المفردة، ويمكن أن يستبدل به كلمة مفردة، وهو نفس صنيع الراغب في بعض مواضع من (المفردات).

(١) محمد بن محمد الغزالي: المستصفى في علم الأصول، الجزء الأول، تحقيق حمزة بن زهير حافظ، جدة، د.ت. وسأشير إلى أرقام الصفحات في المتن تخفيفاً على الحواشي.



ففي الفائق: ((كأنَّ على رءوسهم الطير ، عبارة عن سكونهم وإنصاتهم))^(١) ، فهو يتحدث عن هذه العبارة/التعبير المكون من كأنَّ وخبرها واسمها، التي خرجت عن حقيقة معناها الحرفي، فصارت مجازاً يحل محلها كلمة واحدة هي السكون، فهي عبارة عن... كما قال. وهنا لها معنى ليس بحشو. ومثل ذلك في:

- ٩١/١ ((الأصل في وقوع البرد عبارة عن الطيب والهناء))
أي إن هذا يحل محل تلك.

- ١١٥/١-١١٦: ذاك الفحل لا يُقرع أنفه... قرع الأنف عبارة عن الرد.
- ١٢٩/١... جعل البلبل والحفوف - وهو اليُبس - عبارة عن الرخاء والشدة، وهذه نقلها الصغاني حرفياً.^(٢)
وفي الكشاف للزمخشري أيضاً مثل ذلك.^(٣)

وعند غيرهما - الراغب والزمخشري - نرى الحشو يعود، فالحريري (ت٥١٦هـ) في شرحه ملحته يقول: ((الكلام عبارة عما يحسن السكوت

(١) الزمخشري، جار الله محمود بن عمر: الفائق في غريب الحديث، تحقيق علي محمد الجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: مكتبة عيسى الحلبي، ١٩٧١م ج١/١٣

(٢) الصغاني، رضي الدين محمد بن الحسن: العباب الزاخر واللباب الفاخر، تحقيق محمد حسن آل ياسين، حرف الفاء، بغداد: الرشيد للنشر ١٩٨١ ص. ١٠٢.

(٣) الزمخشري: تفسير الكشاف، القاهرة: مطبعة مصطفى الحلبي ١٩٥١. ٣٦٦/٤.

عليه وتتم الفائدة به))^(١). ويقول: ((...ظرف الزمان عبارة عن مرور الليل والنهار))^(٢) وكما ترى فخروج الحشو لا يؤثر في المعنى.

فإذا انتقلنا إلى قرن لاحق وجدنا الحشو عند كتابه، ونكتفي من مؤلفات الفخر الرازي (ت ٦٠٦هـ) بتفسيره، بل بجزء منه، ففيه ((الصعقة عبارة عن الموت))^(٣).

وفي موضع آخر ((فالتسيح عبارة عن الاعتراف بتنزيهه عن كل ما لا يليق به... وقوله: (وقيل الحمد لله رب العالمين) عبارة عن الإقرار بكونه موصوفاً بصفات الإلهية))^(٤). وهنا نرى الحشو في أول الموضع المقتبس منه، وهو ليس بحشو في آخر قوله. وهناك حشو غير ما نقلناه^(٥).

واستصحاباً لقولنا في البداية عن تلازم هذا الحشو مع التعريفات ننظر في معجم صغير هو ((كتاب التعريفات))^(٦)، فعلى صغر حجمه لا يكاد يخلو من هذا الحشو في أغلب مواده:

- ص ٨: الإجماع المركب عبارة عن الاتفاق في الحكم مع الاختلاف في المأخذ

(١) الحريري، أبو محمد القاسم بن علي: شرح ملحّة الإعراب. علق عليه كامل مصطفى الهنداوي، بيروت: دار الكتب العلمية ٢٠١١م، ص ٧٠.

(٢) نفسه صفحة ٧٠.

(٣) الفخر الرازي، محمد بن عمر: التفسير الكبير المسمى مفاتيح الغيب، بعناية الشيخ خليل الميس، بيروت: دار الفكر ١٩٩٤م ج ١٤/١٩.

(٤) نفسه ص ٢٥.

(٥) انظر مثلاً ج ١٤/٢٨ و ٣٣ و ٣٣٩.

(٦) الشريف علي بن محمد الجرجاني: كتاب التعريفات، بيروت: مكتبة لبنان ١٩٩٠م.



- ص ٩: الإجازة عبارة عن العقد على المنافع بعوض... الأجسام العنصرية عبارة عن كل ما عداهما من السموات وما فيها من الأسطوانات.

- ص ١٤: الأداء عبارة عن إتيان عين الواجب في الوقت.

- ص ٢٥: الاصطلاح هو عبارة عن اتفاق قوم على تسمية شيء باسم بعد نقله عن موضوعه الأول لمناسبة بينهما أو مشابهتهما في وصف أو غيرها.

فإذا لم يقل ((عبارة عن)) قال: هو، أو هي، بل قد يجمع بينهما كما هو الحال في المثال السابق. ومنه: ((الاستسقاء وهو طلب المطر عند انقطاعه))^(١).

ومثل ذلك في تفسير أبي السعود ، فانظر أمثلتها ثمة في الجزء الأول فحسب^(٢).

(٤)

في العصر الحديث قلّمَا سلم كاتب من استعمال هذا التركيب الحشو، بل يمكننا تجاوزاً عدّ غير ذلك ظاهرة أسلوبية . وبما أن غرضنا من هذا المقال ليس مسحياً ، فسنكتفي بأمثلة عند اللغويين وغيرهم . جاء عند إبراهيم أنيس (ت ١٩٧٧م) عن النقوش العربية ((أن كثيرا من كلماتها

(١) نفسه ص ١٧.

(٢) أبو السعود محمد بن محمد العمادي الحنفي ، تفسيره المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، القاهرة: المطبعة البهية ١٣٠٧هـ ج ١ صفحات: ٢٢ و ٣١ و ٣٨ و ٥١ و ٥٤ و ٧٣ و ٨٨ و ١٠٢ و ١١١ .

عبارة عن أعلام لأشخاص، ولا تكاد تجدي مثل هذه الأعلام في البحث اللغوي))^(١).

وجاء عند تمام حسّان (ت ٢٠١١م) أن المقطع التشكيلي ((عبارة عن مقطع تجريدي مكون من حروف، لا تتحقق بالضرورة في النطق))^(٢).

ويندر وجودها عند شيخنا محمود فهمي حجازي ((المعنى الاصطلاحي لكلمة لغة يجعلها عبارة عن مجموعة الإمكانات التعبيرية الموجودة في البيئة اللغوية الواحدة))^(٣).

أما عند رمضان عبد التواب (ت ٢٠٠١م) فموجود في كل آثاره لكنها تقل في كتب وتكثر في كتب أخرى. أما التي قلت فيها فمنها، كتابه بحوث ومقالات في اللغة، جاء فيه عن أسطورة الأبيات الخمسين في كتاب سيبويه ((نسب الأعلم ٥٧ موضعا، أي أن ما يبقى بعد ذلك غير منسوب تماما، عبارة عن ٢٤٢ موضعا))^(٤).

وأما التي كثرت فيها، ف(فصول في فقه العربية)، ومنه:

- ص ١٢٠: الاستنطاء عبارة عن جعل العين الساكنة نونا.

(١) إبراهيم أنيس: في اللهجات العربية، ط ٣ القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٥م ص ٣٥.

(٢) تمام حسان: مناهج البحث في اللغة، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٥٥م ص ١٧٣.

(٣) محمود فهمي حجازي: علم اللغة العربية مدخل تاريخي مقارنة في ضوء التراث واللغات السامية، الكويت: وكالة المطبوعات ١٩٧٣م، ص ٢٧.

(٤) رمضان عبد التواب: بحوث ومقالات في اللغة، مكتبة الخانجي بالقاهرة ودار الرفاعي بالرياض ١٩٨٢م، ص ٩٠.



- ص ١٢٤: التلثة عبارة عن كسر حرف المضارعة.
- ص ١٤٠: القطعة عبارة عن قطع اللفظ قبل تمامه.
- ص ١٤١: الكسكسة عبارة عن إلحاق كاف المذكر سينا.
- ص ١٤٢: الكشكشة عبارة عن إبدال كاف المؤنثة في الوقف سينا .
- ص ١٤٨: شنشنة اليمن عبارة عن جعل الكاف سينا .
- ص ١٥١: الوتم عبارة عن قلب السين تاء .
- ص ١٥٢: الوكم عبارة عن... الوهم عبارة عن...
- ص ١٦٣: الضرورة الشعرية عند علماء العربية عبارة عن مخالفة المؤلف من القواعد في الشعر.
- ص ٣٣٥: التورية عبارة عن ...
- ص ٤٠٢: رمز السكون وهو عبارة عن ...
- وفي الكتاب مواضع غير هذه قد يتكرر فيها التركيب الحشو ، فانظرها هناك^(١).

وإذا كان المؤلف قد أفاد من عمل إبراهيم أنيس (في اللهجات العربية). وأضاف إليه إضافات متميزة، فهناك من أثار على هذا الفصل من (فصول في فقه العربية)، ولم يستطع أن يتفلسف من (عبارة عن). ولو رجعت إلى اللغويين القدماء الذين نقلت عنهم هذه التعريفات كالفراء

(١) رمضان عبد التواب: فصول في فقه العربية، ط ٦ مكتبة الخانجي ١٩٩٩م صفحات ٢٨ و ٣٢ و ٥٤ و ٦١ و ٦٣ و ٧٣ و ٧٧ و ١٧٠ و ١٩٠ و ١٩٤ و ٢٤٦.

وثعلب وأبي زيد والمبرد وابن عبد ربه، ما وجدت عندهم عبارة عن،
فتأمل !!

وإذا جئنا إلى المصوبين اللغويين فهؤلاء استعملوا التركيب الحشو دون نكير ولم يعدّوه خطأً. فهذا هو المرحوم أبو تراب يقول: ((النقط في اصطلاح المتقدمين هو عبارة عن حركات الحروف بوضع نقط معروفة))^(١).

وإذا جئنا إلى المترجمين لقينا التركيب الحشو عندهم، فهذا هو بن غربية يترجم عن رولاند لانغاك، فيكثر من استعماله، حتى إننا نجده يكرره في الصفحة الواحدة. ومنه ((فاللغة عند العرفانيين عبارة عن مسترسل من الوحدات الرمزية... والنحو عبارة عن قائمة منظمة من الوحدات اللغوية الاصطلاحية التي وقع التواضع عليها))^(٢). ولاحظ أيضا الحشو الأخير. ونجدها عند اللساني السعودي عبدالرحمن العارف، وهي تحضر وتغيب من فصل إلى فصل. ومنها:

((...والآخر عبارة عن أدلة بليوغرافية للجهود اللغوية))^(٣)

(١) أبو تراب الظاهري: كبوات اليراع، جدة: النادي الأدبي الثقافي ١٩٨٢م، ج ١ ص ٢٩ وفيه غير ذلك.

(٢) عبد الجبار بن غربية: مدخل إلى النحو العرفاني، تونس: كلية الآداب والفنون والإنسانيات بمتونة ٢٠١٠م ص ٤٤ وانظر صفحات ١٤ و ١٥ و ١٦ و ٤٠ و ٤٩ و ٥٤ و ٧٣ و ٧٥ و ٧٩.

(٣) عبد الرحمن حسن العارف: اتجاهات الدراسات اللسانية المعاصرة في مصر (١٩٢٣-١٩٨٥)، بيروت، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ٢٠١٣ ص ١٦ هامش ٢ وانظر ١٣٧ و ١٣٩ و ١٤٠ و ١٥٥ و ٣٧١ و ٤١٨.



ونختم بشاهدين من تخصصين آخرين. فأما الأول فمن الترجمة العربية لتاريخ كيمبرج للأدب العربي، المؤلف من ١٣ فصلا، ترجمها ١٥ فرداً، ومنه:

((فجزء كبير من أعماله عبارة عن مجموعات تمثل مناظر من رحلاته في أوروبا))^(١). ومنه أيضا:

- ص ١٨٣: والمقدمة عبارة عن رد فعل رومني.

- ص ٢٤٢: بحيث لا يكون الكتاب عبارة عن رد فعل رومني.

- ص ٤٧٠: السّوّاح والحمّار فهى عبارة عن حوار من صفحتين... الضرتان عبارة عن مسرحية هزلية تهريجية.

وفي العمل غير ما ذكرناه، انظرها ثمة^(٢).

وأما الثاني فكتاب صغير (٧٤ صفحة) يعرف غير المختصين بعلم المكتبات. ومع صغره فيه ((وهنا يجب أن نراعي تقسيمات شكلية عبارة عن تسعة رموز نضعها بعد الفاصلة العشرية))^(٣).

(١) تاريخ كيمبرج للأدب العربي - الأدب العربي الحديث. تحرير محمد مصطفى بدوي،

النادي الثقافي الأدبي في جدة ٢٠٠٢م ص ١٧٨.

(٢) نفسه، صفحات: ٤٥٦ و ٤٥٧ و ٤٧١ و ٦٤١ و ٦٤٦ و ٦٥٠.

(٣) أحمد علي صغبر العُرباني: مقدمة في علم المكتبات، نادي أبها الأدبي ٢٠١٤، ص

٤٣ وانظر أيضا ص ٤٨ و ٦٢.



(٥)

وهذا التركيب - كما قدمنا - مستعمل في المحكيات أيضا ، لكنه ليس الحشو الوحيد ، فربما اشتركت مجموعة محكيات في أنواع أو أمثلة ، وربما انفرد بعضها .

فمن متابعتنا لفضائية الوطنية التونسية وجدنا التونسيين يتميزون في البرامج الحوارية بأنواعها بقولهم: ((معناتا، معنا، معناها)) بين كل جملة أو جملتين، دون أن يعقب ذلك ذكر معنى آخر أو مرادف، بل شهدنا مقتطفات من خطب الرئيس السابق بورقيبة، وفيها هذه العبارة.

(٦)

بقي أن نبه على أن (عبارة عن) ليست الحشو الوحيد في العربية فمثلها هذه الحشوات: وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على ، بعض من الناس أو الفاكهة النخ - مع أن من تفيد البعضية أصلا - ، وأخيرا وليس آخرا، بادىء ذي بدء.

ومنه عطف المرادف على المرادف ، وعطف المتقاربين جدا في الدلالة. وهذا موضع محوج إلى فضل بحث لو تأملت. وأرى أن الحشو يسد حاجة نفسية عند مستعمليه دون أن يفكروا فيه منطقيًا. ولعلنا لو نظرنا هذا الجانب في غير العربية لوجدناه. لذلك ليس سديداً قول أبي هلال العسكري: ((الاسم كلمة تدل على المعنى دلالة الإشارة. وإذا أشير إلى الشيء مرة واحدة فعرف ، فالإشارة إليه - ثانياً وثالثة - غير مفيدة. وواضع اللغة حكيم لا يأتي فيها بما لا يفيد. فإن أشير منه في الأول كان



ذلك صواباً. فهذا يدل على أن كل اسمين يجريان على معنى من المعاني وعين من الأعيان في لغة واحدة فإن كل واحد منهما يقتضي خلاف ما يقتضيه الآخر، وإلا لكان الثاني فضلاً لا يُحتاج إليه^(١).

(١) أبو هلال العسكري: الفروق في اللغة، القاهرة: مكتبة القدسي ١٣٥٥هـ ص ١٣.